ماريا منتيسوري و سيليستن فرينيه : دراسة مقارنة لتوجهاتهما البيداغوجية

تسورية امال قلعي*
جامعة بلحاج بوشعيب. طريق سيدي بلعباس, رقم101,عين تموشنت (الجزائر)

Maria Montessori and Celestin Freinet: A comparative study of their pedagogical Approaches

Tsouria Amel Guelai*
Belhadj Bouchaib University , Road of Sidi Bel Abess ،N101, Ain Temouchent (Algeria)
amel.g02@hotmail.fr

تاريخ الاستلام:2019/08/08؛ تاريخ القبول:2021/01/09؛ تاريخ النشر:2022/08/31

ملخص.تهدف هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على بيداغوجيا علمين من أعلام التربية و التعليم في القرن العشرين و هما ماريا مونتسوري و سيليستن فرينيه اللذان تركا إرثا علميا هاما لازال يتداول في العالم ليومنا هذا تحت عنوان "التعلم بشكل أخر" فقدم فرينيه "بيداغوجيا فارقية" تتعامل مع كل طفل بخصوصية تامة مع استعمال مبدأ التعلم بالتجريب بحيث يكون للطفل دور حيوي في العملية التعليمية و إعطاء أهمية كبرى للعمل في المدرسة و الانفتاح على العالم الخارجي. و من جهة أخرى نجد ماريا مونتسوري التي لازال اسمها يرفرف في سماء البيداغوجيا لترسخ قاعدة التعليم الذاتي و مبدأ " علمني كيف أقوم بذلك بمفردي". و على الرغم من الاختلافات الواضحة في كل من بيداغوجيا مونتسوري و فرينيه إلا أن هذا لا يمنع من وجود نقاط تشابه بينهم.

الكلمات المفتاحية. ماريا مونتسوري ؛ سيليستن فرينيه ؛ البيداغوجيا ؛ التربية و التعليم.

Abstract. This study aims to shed light on the pedagogy of two science scientists in the twentieth century, Maria Montessori and Celestin Freneit, who left an important scientific legacy still circulating in the world today, under the title "Learning in another way." Vernet introduced a "pedagogy of difference" that deals with each child in complete privacy with the use of the principle of Learning by experimentation so that the child has a vital role in the educational process and gives great importance to work in school and openness to the outside world. On the other hand, we find Maria Montessori, whose name is still reigning the field research in pedagogy for it consolidates the rule of self-education and the principle of "teach me how to do it on my own." Although the obvious differences observed in pedagogy of Montessori and Vernet, this does not prevent the existence of similarities between them.

Keywords. Maria Montessori, Celestin Freneit, Pedagogy, Education and Learning.

***corresponding author**

1. مقدمة

عندما نتكلم عن التربية و التعليم فإننا نتكلم عن العلاقة بين المدرس و بين التلاميذ , نتكلم عن أفكار و تصورات يحملها كل الطاقم المسؤول عن المنظومة التعليمية . فالتربية هي حقيقة اجتماعية تأخذ شكل مؤسساتي بمدارسنا اعتمادا على برامج متشابهة في اغلب المؤسسات التعليمية. مع العلم أن كل مدرس يعتبر ممارسا للبيداغوجيا بمعنى انه يجمع بين كل ما هو نظري و تطبيقي في مجاله و يظهر ذلك في طريقة عمله. و لكن عندما ندقق النظر في هذه الممارسات فإننا نجد أن التحدي الحقيقي هنا يكمن في مدى التطبيق الفعلي لكل ما هو نظري على ارض الواقع. و أمام الصعوبات و المشاكل التي عرفتها المنظومة التعليمية قديما ظهرت مجموعة من البيداغوجيات الجديدة لتكون جزء من الحلول المقترحة في هذا الصدد و منها بيداغوجيا كل من ماريا مونتسوري و سليستن فرينيه, هاتان الأيقونتان البارزتان في فضاء التعليم و التربية اللتان تركتا إرثا علميا لا يزال صداه متواجدا لحد يومنا هذا. و إذا كان ما يجمع مونتسوري و فرينيه هو الاهتمام الشديد بالنمو السليم للطفل وكذا الرغبة في إدخال التجديد و التنويع بالمدارس آنذاك على مختلف الأصعدة إلا أن الأهداف المشتركة بينهما لا يمنع في مساهمة ذلك في إثراء نقاط التشابه و الاختلاف في الفكر البيداغوجي لكلهما.

1.1.الاشكالية.

إن التنوع المشهود في الطرق التعليمية و التربوية خلال السنوات الماضية يقتضي منا الاهتمام و التحليل لأنه مرتبط بحقائق واقعية يكون محورها الأساسي الطفل الذي قد يكون إما المستفيد أو الضحية من هذه الوضعية, و عليه أصبح هذا التنوع هو الوسيلة لاقتراح طرق جديدة في التعليم و التربية و إعادة النظر في توجهات المدارس التقليدية. و هو الأمر الذي سعت إليه ماريا مونتسوري التي قامت ببناء نظرياتها من خلال ملاحظتها للأطفال و خاصة ذوي الاحتياجات الخاصة فجعلت التعليم اكثر تشويقا و أكثر ابتكارا. أما فرينيه فقد استفاد من دوره كاب و قام ببناء توجهاته على أساس ملاحظاته لنمو ابنته و تأسيس لفكر بيداغوجي ذو خصوصية واضحة.

و عليه فما هي ابرز الأفكار و الممارسات التي تميز كل من بيداغوجيا فرينيه و بيداغوجيا منتسوري ؟ و ما هي نقاط الاختلاف و التشابه فيما بينهما؟ و هل يمكن أن نتكلم عن إمكانية تطبيق النظريتان في مدارسنا الجزائرية العامة؟

2.1. أهداف الدراسة.

تهدف هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على شخصيتان رائدتان في مجال التربية و التعليم الذي شهده التاريخ في القرن العشرين إلى جانب أسماء أخرى طبعا, و هما ماريا منتسوري و سيليستن فرينيه بهدف التطرق إلى أهم الأفكار التي دافعا عنها و التي أدرجاها في المنظومة التعليمية التي كانت تتصف آنذاك بكونها جد تقليدية بحيث تعتمد على برامج جامدة, ليحدثا بذلك نقلة نوعية في ما كان يسمى وقتها باسم " البيداغوجيا الحديثة". كما تهدف هذه الدراسة إلى التطرق إلى جوانب الاختلاف والتشابه بين الفكر البيداغوجي لكل من مونتسوري و فرينيه من حيث الأفكار و التوجهات و القيم و منهجية التربية و التعليم بشكل عام.

3.1. أهمية الدراسة.

يعرف مجال التربية و التعليم مجموعة كبيرة من المشاكل التي تمس عدة محاور أساسية ذات صلة بالطفل و المعلم والمنهج و منظومة المؤسسة بشكل عام في مختلف دول العالم بما فيها طبعا الجزائر. الأمر الذي يجعل دراسة الواقع التربوي من الأولويات التي يجب أن نسعى إليها من اجل تطويره و تجاوز صعوباته. و عليه فانه من المهم الاهتمام بالنماذج البيداغوجية التي حاولت تغيير ذلك الواقع و التي تركت بصمتها في التاريخ و ذلك من خلال تناولها بالفحص و التحليل و بيان أثرها الايجابي

على الطفل و على كل عناصر العملية التعليمية و التربوية و محاولة تطبيقها أو تكييفها بما يتناسب مع متطلبات عصرنا الحديث.

2 .نظرة عامة حول البيداغوجيا, التربية و التعليم و التعلم باللعب

لا يوجد بيداغوجيا واحدة و إنما هناك العديد منها و التي أصبحت في عصرنا هذا كمرجع يمكن للمدرس استعماله أو استوحاء أفكار منه و لكن قبل الخوض في بيداغوجيا فرينيه و منتسوري من المهم تحديد مفهوما للبيداغوجيا و الفرق بينها و بين التربية و التعليم.

البيداغوجيا كلمة يونانية تتكون من مقطعين الأول هو (Paidos) و يعني الطفل, أما المقطع الثاني هو (Logia) و تعني القيادة و السياقة و التوجيه. فالبيداغوجيا فن التدريس أو طرائق التدريس الخاصة بحقل أو مادة أو مستوى تعليمي أو بالفلسفة التربوية, وهي نمط من التفكير و القيم و نمط من المعرفة العامة للظواهر التربوية, وبما أن التربية هي النشاط أو الفعل الذي يمارسه المربي على المتربي، ولكي تصل هذه الممارسة إلى غايتها فإننا بحاجة إلى توجه من طرف البيداغوجيا التي تستمد أسسها من علم النفس وعلم الاجتماع. (يحياوي, طويل, دت, ص97-99).

تلك العملية التي تسمح بتحويل التوجهات و السلوكيات التي يطورها الفرد شيئا فشيئا خلال وضعية معينة, و تكون عن طريق تفاعل الطفل مع البيئة الخارجية بحيث أن البنى العقلية الموجودة سابقا تكون قابلة للتعديل و إعادة التنظيم عن طريق خبراته. (Foucambert,1976,p13).

منذ الخمسينات حاولت دراسات كثيرة وضع تقسيمات متنوعة لأصناف التعليم بمعنى البحث في مجموعة السلوكيات المشتركة المميزة للعديد من المعلمين, و التي تعبر عن أسلوب تدريس و تعامل مع التلاميذ أو الطلبة. وهناك من الباحثين من قام بتصنيفها عن طريق مجموعة من المتغيرات. فنجد مثلا بين Benne (1975) و الذي يقسمها إلى 12 صنف:

- طريقة تنظيم القسم,
- درجة التحكم الاجتماعي,
- نوعية محتوى الدروس و طريقة التخطيط,
- استراتيجيات تدخل المدرس في الحصة و تفاعله مع التلاميذ,
- استراتيجيات تحفيز التلاميذ,
- خطوات التقييم. (Altet, 1993,p91)

يعتبر اللعب من الأنشطة الرئيسية التي تتمتع بخصوصية تجعلها تساهم في تعزيز التواصل بين الأطفال. حيث تسمح الألعاب بجعل المعلم يأخذ فكرة أوضح عن مستوى اكتساب المعارف لدى الطفل و كذا تقييم قدراته. كما يعتبر اللعب بالنسبة للمتعلم عالم جديد يقوم باستكشافه مما يجعله يسطر مجموعة من الأهداف التي يجب التوصل إليها لخدمة نموه, كما يسمح اللعب للطفل بتنمية ذاكرته و تعلم قدرات جديدة و المحافظة على ثبات المعارف المكتسبة مسبقا.

.(Alia,Manaa,2017,p36-37)

اضافة الى هذا , فقد اثبتت دراسات أخرى ان للعب دور مهم في تحفيز الطفل على التعلم . حيث يؤكد Brougére (2007) ان اللعب يسمح بالتخلص من الطابع الرسمي لعملية التعلم في المدرسة , كما انه يساهم في تنمية قدراته على حل المشكلات . (Sauvé et al,2007). و يمكن اعتبار اللعب كوسيلة للانفتاح على العالم الخارجي حيث ان كل العلاقات التي تظهر من خلال اللعب تكون مرفقة بانفعالات ذات طابع ايجابي . (Ferrarotti,1990).

3.لمحة تاريخية عن حياة منتسوري و فرينيه

1.3.ماريا منتسوري. تعتبر ماريا منتسوري من الأسماء البارزة في ما سمي "البيداغوجيا الجديدة" في عصرها وقد قدمت الكثير في مجال الطفولة و التربية و التعليم و أصبحت بعض المدارس و دور الحضانة حاملة لاسمها في وقتنا الحالي. ولدت منتسوري في 30 أوت 1870 في مدينة صغيرة بإيطاليا , و هي الابنة الوحيدة في عائلتها المكونة من أب موظف و من أم تنحدر من أسرة باحثين, لتنتقل العائلة إلى روما عندما بلغت ماريا الخامسة عشرة من عمرها.

أكملت ماريا منتسوري دراستها للطب رغم رفض الجميع لان هذا التخصص كان حكرا للرجال فقط في تلك الحقبة الزمنية, و في 1897 كانت ماريا أول امرأة تتحصل على شهادة في الطب بإيطاليا بعد رحلة من الكفاح في سبيل العلم. و بعدها قامت منتسوري بدراسة البيولوجيا و علم النفس و الفلسفة في فرنسا و ايطاليا و بريطانيا. و عملت في مستشفى بروما و اهتمت بالأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة و دافعت عن حقوقهم و كرامتهم في العديد من المحاضرات العلمية و اهتمت بنمو الطفل فطورت أدوات بيداغوجية حيث فتحت أول "دار للأطفال" في 1907 بروما و قامت بتجهيزه بالأثاث الملائمة لحجم الأطفال و هذا الأمر كان جديدا وقتها, مما أتاح لها الفرصة لملاحظة تطور و نمو الأطفال في مدرسة أشبه بالمخبر البيداغوجي و لكن في جو عائلي و على هذا الأساس قامت بتأسيس نظرياتها. توفيت ماريا منتسوري في 6 ماي 1952 تاركتا ورائها العديد من الكتب المهمة التي كان لها إثرها في ما يسمى وقتها بالبيداغوجيا الجديدة.(Poussin ,2016).

2.3.**سيليستن فرينيه**. ولد فرينيه في 1896 في منطقة الألب بفرنسا و يعتبر واحد من أهم البيداغوجيين في عصره . ارتاد في طفولته المدارس الشعبية. و في 1914 شارك في الحرب و قد أصيب بإصابة خطيرة في الرئتين في 1915 و قد كان عمره آنذاك لا يتجاوز 19 سنة قد عانى منها طيلة حياته. و في 1920 أصبح مدرس في مدرسة بقرية Bar sur Loup القريبة من مدينته الألب بفرنسا و هناك قام بتطبيق أولى تقنياته و نظرياته في التربية و التعليم عن طريق ما اسماه ب "التربية الجديدة" فكان له لقاءات مع البيداغوجيين أمثال Ferrière و Cousinet و غيرهما, كما قرء كل كلاسيكيات البيداغوجي قبل أن يأخذ قراره بالابتعاد عن كل ما يتعلق بالبيداغوجيا التقليدية السائدة في كل المدارس .

وفي سنة 1945 قام فرينيه بفتح مدرسته الخاصة بمساعدة زوجته و تفرغ تماما لها, و في 1947 قام بتأسيس المعهد التعاوني للمدرسة الحديثة . أما في 1957 قام بإنشاء الفيدرالية الدولية لحركات المدرسة الحديثة. توفي فرينيه في 08 أكتوبر 1966 بمدينة فونس بفرنسا. (Le grand, 2000).

4.منظورهما حول الطفل

من المهم جدا قبل الخوض في أفكار كل من ماريا منتسوري و سيليستن فرينيه إلقاء الضوء على نظرة كليهما بخصوص الطفل و المدرسة , تلك النظرة التي كانت الأساس الذي بني عليه كل منهما أفكاره و ممارساته في مجال التربية و التعليم . فنجد مثلا سيليستن فرينيه يعتبر الطفل عبارة عن شخص راشد في طور الإنشاء و النمو لا يجب التنقيص من قدره إذا قمنا بمقارنته بالراشد و قد بدا ذلك واضحا في نوعية النشاطات التي أدرجها في أقسامه و كيفية تعامله مع تلاميذه .

كما اعتبر فرينيه التعليم التقليدي الذي يعتمد على التلقين من الأمور التي تجعل الطفل جامدا و سلبيا, و بالتالي فان ذلك يقوده إلى الفشل و تبلد الذهن و قتل روح المبادرة فيه و لهذا أكد فرينيه على ضرورة اخذ اهتمامات الأطفال بعين الاعتبار من خلال تسجيل بعض الملاحظات حول أقوالهم و تصرفاتهم العفوية. (الشبلي, 2006 , ص 164) أما ماريا منتسوري فقد آمنت بان الطفل قادر على اكتشاف العالم من حوله من خلال امتلاكه لطاقة كامنة يمكنه تطويرها بممارسة أنشطة ممتعة و مسلية دون خوف من عقاب أو طمع في ثواب . (مصطفى , الهاشمي, 2017, ص 2302) كما اعتبرت منتسوري الطفل كائن حر له الحق في

أن يحترم الراشد ميوله و احتياجاته , فرد يتعلم من خلال التفاعل مع كل ما هو موجود حوله من خلال استعمال كل حواسه في العملية التعليمية و استغلال كل ركن من القاعات لضمان تحرك حر و امن و مريح للطفل في جو مرتب و منظم يتلاءم مع الأهداف التربوية و التعليمية التي سطرتها منتسوري إضافة إلى ضرورة الاهتمام بصحته الجسدية و النفسية .

5.حرية الطفل

اتفق كل من ماريا منتسوري و سيليستن فرينيه على أهمية الحرية في مجال التربية و التعليم و قد تم اعتبارها إحدى الدعائم الكبرى التي تساهم في النمو النفسي للطفل بحيث اعتبرت منتسوري حرية الطفل في المنظومة التعليمية الأداة التي تسمح لنا بفهم سلوكيات الطفل كونها تكون نابعة منها و غير خاضعة للتوجيه و بالتالي فان المعلومات التي نستخلصها ستكون أكثر صدقا. كما أن الحرية التي نمنحها للطفل سوف تسمح له بالقيام بمجهود مضاعف في النشاطات التي يقوم بها لأنها من اختياره. و قد انعكس هذا المبدأ في بيداغوجيا منتسوري من خلال منح الطفل الفرصة لاختيار الأداة التي يريدها و المكان الذي يرغب فيه دون الاصطدام بسلطة المدرس و دون الشعور بأنه مجبر على القيام بما يمليه عليه الراشد فتصبح التربية و التعليم فرضا و ليس اختيارا. و لكن هذه الحرية لها حدودها بحيث أن الطفل حر في حركاته بشرط أن لا يزعج الأطفال الآخرين, كمل انه حر في حديثه بشرط أن لا يشتت تركيز زملائه.(Margeau,2015,p15).

كما انه قد يعتقد أن التربية و الحرية شيئان متناقضان, إذا وجد إحداهما اختفى الآخر أوتوماتيكيا. و لكن في الحقيقة أن كلهما يأتي من الأخر, حيث انه لا يتواجد إحداهما إلا بتواجد الأخر. (Ferriére,1927) و من جهته. قام فرينيه بتطبيق مبدأ الحرية من خلال ما اسماه ب "النص الحر" حيث أن الطفل يستطيع كتابة نصه الحر في المدرسة في الوقت المخصص لذلك حسب البرنامج كما قد يكتبه على الطاولة أو على الأرض أو قبل دخوله القسم أو المنزل. و قد أكد فرينيه أن تنظيم النشاطات التي تخدم حاجات الطفل و رغباته و التي تسمح له بالتصرف بكل حرية هو ما يشكل أساس النظام الاجتماعي. (Le Gale ,2013, p7) و للأسف لا نجد هذه القيم في إطار المناهج التعليمية الحديثة في الجزائر حيث أن حرية الطفل مكبلة بمنهج جامد يكون فيها الطفل المستقبل و المعلم هو المرسل من خلال إتباع نظام الحشو المعرفي في جو روتيني بواسطة وسائل تقليدية تعتمد على السبورة و الكراس و أنشطة غير مبتكرة.

هذه الطريقة التقليدية المتمثلة في إلقاء الدرس بشكل دائم تجعل من الطالب شارد الذهن قليل الحركة و التفاعل , و لا يمكن للمعلم أن يقوم بتقويم طالبه بصفة مستمرة، اختفاء التعاون بين الطلبة، وهي طريقة ال تشجع على التحليل والتفكير و الاستنتاج.(يعيش مليكة, د.ت, ص4)

و هذا الواقع الصعب عكسته دراسات ميدانية متنوعة نذكر منها دراسة لمليكة غريفو التي وضحت انه ليست هناك اصلاحات انما خطابان متناقضان يقول الأول بضرورة خلق مدرسة عصرية (...) بينما ينص الثاني على إن هذه الإصلاحات تعود إلى عهد الخمسينات في أوروبا (...), ان هذه الأهداف يستحيل تنفيذها في المدرسة الأساسية لأنها تشترط أساسا حرية المعلم . (بركة مصطفى, 2000-2001, ص302).

6.استعمال اللعب

قبل أن نتكلم عن نظرت الباحثين بخصوص اللعب و دوره في البيداغوجيا, من المهم أن نعرف هذا المصطلح. و ارتأينا أن نستعين بتعريف بغوجاغ Brougére (2002) الذي حدد عدد من الخصائص التي تصف اللعب كنشاط و هي:

- اللعب شكل من أشكال الخيال و الاستثارة.

- القرار: ينبغي على اللاعب أن يأخذ عدد من القرارات التي لها علاقة بالقرارات التي يأخذها الخصام, فاللعب نشاط حر دون قيود.
- قواعد و نظام: بعض القواعد تكون منذ البداية تكون مقبولة من جميع الأطراف, و البعض الأخر قابل للتفاوض و هناك قواعد بمكن اقتراحها خلال تطور اللعب.
- اللعب لا يغير الواقع و يختفي التأثير بعد الانتهاء منه.
- غير مؤكد: لا احد يعلم كيف ستنتهي اللعبة.

اخذ اللعب مكانا بارزا و مهما في بيداغوجيا مونتسوري و التي استعملته في مختلف النشاطات المدرسية بحيث انه لكل لعبة هدف تربوي تعليمي له علاقة بمادة معينة , و المميز في الموضوع أن مونتسوري هي من حرصت على تصميم كل لعبة بدقة متناهية تتناسب مع أعمار التلاميذ و تسعى إلى تنمية قدرات معرفية و حركية و حسية عند الطفل. فنجد مثلا لعبة حمل الكراسي الموجهة للأطفال من عمر 2 إلى 5 سنوات لتعليمهم الحفاظ على التوازن و كذا لعبة السير على الخط للأطفال من 3 إلى 5 سنوات و غير ذلك من الألعاب. (الثلواني, 2015).

عارض فرينيه فكرة أن يكون اللعب أساس البيداغوجيا و قد فرق بين "اللعب-العمل" و بين "العمل –اللعب" بحيث أكد على أهمية "العمل-اللعب" في تربية و تعليم الأطفال, بحيث تسعى أهدافه التربوية إلى تحقيق الرضى و ليس اللعب كنشاط في حد ذاته, و اعتبر سيليستن فرانت أن للعمل قوة تضمن تربية جيل جديد فعال وعارض فكرة الاعتماد على ما يسمى باللعب التربوي أو الاستراتيجيات البيداغوجية المتبعة من الراشد. (Freinet,1960).

كما اعتبر فرينيه اللعب كشكل من أشكال التعلم و ليس شيء طبيعي و إنما العمل ما يجب اعتباره كأمر طبيعي يجب تنظيمه, فاللعب من وجهة نظره لا يؤدي إلى العمل و إنما هذا الأخير ما يجب أن يكون بشكل لعب. (Pannicaccis,1999,p18).

7.التقييم بالعلامات

عارض سيليستن فرينيه مبدأ تقييم عمل الأطفال بالمدرسة بمجموعة علامات سواء باستخدام الأرقام أو حتى الحروف . فبالرغم من أن الطفل مثله مثل الراشد يبحث عن معرفة آراء الآخرين في عمله لرؤية تطوره و نجاحه و كذا رسوبه و لتقييم ما تحصل عليه من معارف أو مهارات و أيضا لمقارنة نفسه بزملائه , إلا انه في مدراس فرينيه يعتمد التقييم أو التنقيط على ثلاثة أمور فقط و هي: تقييم الطفل لنفسه بنفسه, تقييم الطفل من طرف المجموعة التي ينتمي إليها , و تقييم الطفل من طرف المدرس. و لكن التقييم هنا لا يكون كالخبر الذي ينتظره الطفل في نهاية كل سداسي أو في نهاية السنة و إنما يكون عبارة عن إعطاء القيمة لما يفعله الأطفال و هو وسيلة للتعبير و التواصل مع النقد البناء, فالتقييم عند فرينيه هو عملية يومية بالمدرسة تسمح للطفل بان يشعرانه محفز من الآخرين و يكون هناك نوع من المنافسة و تبادل المعارف و توفير الإمكانيات اللازمة لجعل كل عملية تعلم ذات خصوصية تتناسب مع كل طفل في المدرسة. (Chabrun,1964).

اهتمت ماريا منتيسوري بالتقييم و اعتبرت انه من الواجب عدم خلق الظروف التي تجعل الطفل ينافس غيره في النشاطات و خاصة في السنوات الأولى من حياته و إنما يجب تنمية روح المشاركة و التعاون فيه حيث انه من المهم جدا أن ندع الطفل يكتشف الأدوات بنفسه و يتفاعل معها محاولا إيجاد حلولا للمشكلات التي تواجهه في اللعبة أو النشاط حتى ننمي فيه الثقة بالنفس, و لا يجب أن نضعه في مواقف يحس فيها بالفشل أو يتم فيها مقارنته بزملائه الآخرين في المدرسة. فاعتمدت منتسوري بدورها على نظام التصحيح الذاتي مثلها مثل فرينيه بحيث يتم تقييم الطفل من خلال ملاحظة تفاعلاته في نشاطاته بشكل يومي لإيجاد حلول لمشاكله و صعوباته بشكل فردي. لذلك تقول مونتسوري أن كل علامات الخطأ التي يضعها

المدرس على كراسات التلاميذ و كل التانيبات لا تؤدي إلا إلى تأثير مثبط لقدراتهم و اهتماماتهم, فبقولها (أنت شقي أو غبي) تسيئا ليه و تهينه, و لكنه يؤدي إلى تقدمه, و لكي يكف الطفل أن يقوم بالخطأ ينبغي أن يكون أكثر مهارة و لا يتحقق هذا مع طفل محبط. (حسن, 2018, ص166).

8.ابرز التقنيات المستخدمة

أدرج فرينيه تقنية جديدة في المدرسة و هي "الآلة الطابعة" التي تسمح للأطفال بالتعبير عن معاشهم و أفكارهم الخاصة من خلال طبع نصوص يكتبها الطفل لتتحول أفكاره إلى شيء حقيقي ذو قيمة اجتماعية. كما حرص فرينيه على فتح مجال للتواصل مع المدارس الأخرى عن طريق المراسلات و تبادل النصوص بين التلاميذ. (Meignan, 2014,p13). و من الأساليب التي اتبعها فرينيه أيضا هو أسلوب تنظيم الوقت من خلال وضع كل تلميذ لمخطط عمل يومي يأخذ شكل خانات يحضر فيها الطفل تاريخ اليوم و النشاطات التي يخطط القيام بها , فيضع نقطة أمام الخانة التي تمثل النشاط الذي سوف يقوم به و يضع علامة (+) أمام النشاط الذي انتهى منه و قد يضع نقطة في وسط حيز إذا قرر إكمال النشاط لليوم الموالي. إضافة إلى مخطط العمل الأسبوعي الذي ينتهي بمخطط بياني يضعه التلميذ بنفسه لتقييم عمله الذي لا يقتصر على نشاطاته المدرسية و إنما أيضا مدى مشاركته و انغماسه في الجو العام للقسم. (Rappelin,Bouvart,2017,p13).

هذه التقنية تسمح للطفل بتنظيم وقته و هذه العملية تأخذ بعين الاعتبار الفروق الفردية بين الأطفال حيث انه لكل تلميذ سرعته في إتمام النشاطات و مستوى فهم, كما يمكن لكل طفل أن يختار القيام بعمل بمفرده أو بمشاركة من رفاقه في القسم. و من جهة أخرى تعتبر هذه الطريقة كأداة تقييم للمدرس لكل تلميذ على حدا. و لم يكتفي فرينيه بهذا فقط و إنما سلم التلاميذ مسؤولية الاهتمام بكل لوازم المطبعة والتكفل بالحسابات الخاصة بأسعارها و نوعيتها و كمياتها , و هنا نلمس روح المسؤولية التي أراد فرينيه أن ينميها في تلاميذه و كذا جعل المطبعة كنشاط تعليمي في حد ذاته. و من جهتها استعملت ماريا منتسوري أدوات خاصة قامت بتصميمها بنفسها و التي قد تميزت بشكلها الجميل و بسهولة استخدامها مثل الإطارات الخشبية التي تعلم الطفل تزرير القميص من خلال عملية تكرار النشاط و ربط الأشرطة مما يساهم في تنمية استقلاليته الذاتية. كما استعملت منتسوري الأدوات الحسية بحيث أن لكل أداة لونها و شكلها و ملمسها و رائحتها و صوتها, كما تسمح له هذه الأدوات بتعلم التصنيف و الترتيب. و من بين الأدوات المميزة التي صممتها مونتيسوري نجد "البرج الوردي" و الذي هو عبارة عن مجموعة مكونة من عشرة مكعبات وردية اللون ذات أحجام متدرجة من الأكبر إلى الأصغر مصنوعة من نفس نوعية الخشب , و الطفل مطالب أن يقوم بتركيب البرج انطلاقا من اكبر مكعب وصولا إلى اصغر مكعب. كما صممت منتسوري العلبة الشمية و التي تحتوي على علب صغيرة مغلقة و في داخلها روائح معينة مثل رائحة القهوة و النعناع و غير ذلك, و هذا النشاط لا يقتصر هدفه على تعليم الطفل التميز بين الروائح فحسب و إنما يساهم في إثراء رصيده اللغوي أيضا. كما خصصت منتسوري لكل مادة من المواد الدراسية أدوات خاصة و نذكر كمثال أنها صممت ما أسمته ب "درج الخرز" لتعليم الطفل الحساب و الرياضيات, فالطفل عندها لا يقوم أبدا بحفظ جدول الضرب مثلا و إنما يقوم بحل العمليات الحسابية من خلال الأدوات المونتسورية. و حتى لتعليم التاريخ مثلا يستعمل الطفل صور تمثل أحداث تاريخية معينة و يقوم بترتيبها فوق شريط قابل للطي.

كما لجأت منتسوري إلى أسلوب ابتكاري تفردت فيه و لم يسبقها إليه احد لتنمية حاسة السمع و الإصغاء عند الطفل. و تتمثل هذه الطريقة في دروس الصمت, حيث تطلب من الأطفال الاجتماع في قاعة العمل, ثم تطلب منهم الالتزام بالصمت التام إلى درجة أن الطفل يستطيع سماع لهاث غيره من الأطفال. ثم تسدل الستائر لتخفيف الإضاءة, و يطلب من الطفل الاستماع

إلى الأصوات الخارجية كما يتعلم سماع اسمه بشكل همسات و يدرب على رفع يده كإشارة منه على سماعه. (وطفة, الرميضي,2004, ص 256-257) حيث أن هذا التمرين يعلم الطفل القدرة على التركيز و التأمل و كذا التحكم في الذات.
كانت هذه بعض الأدوات المستعملة في مدرسة ماريا مونتسوري و هي عينة فقط عن الكم الهائل من الأدوات التي صممتها العالمة و التي تتميز بالتنوع والخصوصية و ذلك حسب المادة المراد تدريسها و الأهداف المسطرة من قبل المدرس.

9.بيئة تعليمية منظمة

يتميز القسم في المدرسة المنتسورية بتنظيم و ترتيب معين يتناسب مع المبادئ التي وضعتها ماريا منتسوري بخصوص نمو الطفل في مختلف مراحله العمرية , و هذا كان إحدى مميزات البيداغوجيا التي أتت بها . فالمدرسة بالنسبة لها مكان للعيش بحيث يتم تجهيز المكان بكل الإمكانيات التي تضمن له الاستقلالية. و لهذا نجد أن كل الأثاث و الأدوات المستعملة مناسبة للأطفال لأنها مصممة لهم خصيصا. كل زاوية في القاعة مجهزة بشكل دقيق يسمح للطفل بالوصول إلي كل الأشياء بسهولة متناهية مع الحفاظ على عامل الترتيب و الجمالية في كل شيء و ضمان الشعور بالراحة في القسم كما أن معظم الأدوات تكون مصنوعة من الخشب. وطريقة تنظيم وضعيات الطاولات و مكتب المعلم ليست بشكل واحد حسب منتسوري و إنما تكون حسب نوعية النشاط و أهداف المدرس. (Pellaton , 2013,p16).

10.العمل الجماعي في القسم

يعتبر العمل الجماعي من الأساليب المتبعة في مجال التربية و التعليم و هو يقوم على مبدأ مشاركة مجموعة من الأطفال في نشاط معين بحيث يشترك الجميع في نفس الأهداف المسطرة من قبل المدرس و هو الأمر الذي قد يظهر في بادئ الأمر سهلا و لكنه في الحقيقة يحتاج إلى تأطير محكم و كذا وجود انسجام و تفاهم بين الأطفال الذين سوف يخضعون لنفس التعليمات التي تخص النشاط الذي هم بصدد القيام به.
العمل الجماعي من المصطلحات التي نجدها حاضرة و بقوة في أفكار فرينيه و لكنه جعل من هذا الأسلوب طابعا أكثر تنظيما مع إدخاله لخاصية توزيع الأدوار على الأطفال , فنجده مثلا يعطي دور قائد المجموعة و رئيس الحصة و السكرتير و المسؤول عن المراسلات و المسؤول عن المكتبة و غير ذلك . و هو الأمر الذي يعتبر جديدا في المدرسة باعتبار أن ما اسماه ب "المشروع" يعتبر فكرة رائدة في المجال التعليمي وقتها , بمعنى انه جعل من النشاطات التعليمية مشاريع يقوم بها مجموعة أطفال بصفة منتظمة و هو الأمر الذي يساهم في رفع مستوى الاستقلالية عند الأطفال و هو ما بينته دراسات عديدة مثل دراسة لبولي Poulet(2004).
لقد أخد العمل الجماعي عند فرينيه أيضا بعد سياسي اجتماعي بحيث اعتبر المشاركة التي يحرص المدرس على تنميتها في المدرسة الفرينية الخطوة الأولى لبناء مواطن يؤمن بالاشتراكية من اجل مستقبل أفضل للمجتمع. (Jacomino,201).

11.اهمية الخطأ و المحاولة

أبدى فرجنيه اهتماما كبيرا بموضوع الخطأ و المحاولة في التعليم و قد يكون هذا راجعا إلى تأثره بالمدرسة السلوكية , الامر الذى ظهر بشكل واضح في كتاباته , حيث انه اعتمد على مجموعة من الأساليب التعليمية مثل التصحيح الذاتي من خلال الرجوع إلى أوراق تحتوي على الحل دون الرجوع إلى المعلم, أو تصحيح التمارين من قبل الزملاء و الذي يعتبره فرينيه امرا سهلا للتقبل من طرف الطفل بشكل أحسن مقارنة بالتصحيح الذي يصدر عن شخص راشد, و كذا كتابة المنشورات و غير ذلك

حيث انه يسمح للتلميذ بان يرتكب الخطأ على اعتبار انه يقوم بعمل فردي من جهة و من جهة أخرى ترك الوقت الكافي للطفل بان ينتبه إلى ذلك الخطأ و تصحيحه لضمان فهم أفضل للدرس . و قد عبر فرينيه عن انتمائه للمدرسة السلوكية بقوله: "حسب واطسون احد رواد السلوكية فان هناك عدة طرق للتعلم : التدرج, التقليد, التربية و لكن كل هذه الطرق تجعلنا نصل لتعريف طريقة المحاولة و الخطأ." (Freinet,SD,220).

و من جهتها, كان لمفهوم الخطأ و المحاولة مكانة مهمة في البيداغوجيا التي أسستها ماريا منتسوري بحيث قامت بتصميم الأدوات التعليمية بطريقة تسمح للطفل بالتعرف على خطاه و المحاولة من جديد . و ذلك من خلال ما أطلقت عليه اسم "التحكم في الخطأ". و عند الاطلاع على الأدوات المنتسورية يمكن ملاحظة هذا الأسلوب من خلال استعمال ماريا مونتسوري لطريقة "النموذج المصحح" الذي يعتبر كمرجع يعود اليه التلميذ أثناء القيام بالنشاط , إضافة إلى وجود بعض البطاقات التي تحمل تفاصيل أكثر دقة يرجع إليها الطفل عند ارتكابه للخطأ .

12.سلبيات بيداغوجيا ماريا مونتسوري و بيداغوجيا سيليستن فرينيه

بالرغم من النجاح و الشهرة التي عرفتها البيداغوجيا المتبعة من طرف كل من ماريا مونتسوري و سيليستن فرينيه الا ان مسارهما لم يخلوا من الانتقادات التي شملت فلسفتهما في التعليم و كذا الطرق المتبعة في ذلك.

1.12. سلبيات بيداغوجيا مونتسوري .لقد اعتبر البعض البيداغوجيا المتبعة من طرف ماريا مونتسوري بانها اسلوب تعليمي يجعل من الطفل العنصر المتحكم في العملية التعليمية و عليه فان المعلم محدود الحرية في هذا النوع من التفاعل. كما انه قد يأتي الطفل اثناء اداء المعلم لنشاط فردي مع طفل اخر ليقاطعهما. اضافة الى ان هذه البيداغوجيا تتطلب مساحة اكبر في القاعات . ()Lorge,2015,p23الامر الذى لا يمكن توفره في كل المدارس.

من جهة اخرى فان مسالة عدم تطبيق بيداغوجيا مونتسوري في كل المدارس التقليدية من الموضوعات التي شغلت عددا من الباحثين. و قد تم ارجاعه الى ان هذه البيداغوجيا كانت حكرا على طبقة "مميزة نسبيا" و التي نتج عنها غياب للتنوع الاجتماعي. (Luong,2016) بمعنى انها من المناهج التعليمية التي استفادت منها طبقة اجتماعية معينة و ذلك لانتهاجها من طرف مدارس خاصة غير مجانية, بالرغم من انها طبقت لأول مرة من طرف ماريا مونتسوري مع الطبقة الفقيرة في المجتمع آنذاك حسب تاريخ ظهور هذا المنهج.

و من جهة أخرى اعتبر البعض ان هذه البيداغوجيا صعبة التطبيق في المدارس كونها تعتمد على تقسيم التلاميذ الى مجموعات صغيرة, إضافة إلى أنها تتطلب من الأهل إن يكونوا على علم بكل تفاصيلها حتى يتم مواصلة عملية التعلم في البيت. (Lauriers,2017,p8).

2.12.سلبيات بيداغوجيا سيليستن فرينيه . لقد لاقت بيداغوجيا فرينيه بدورها مجموعة من الانتقادات إلا إن إضفاء العامل الفردي على التعلم و خطر عدم التمكن من الوصول إلى الأهداف النهائية لهذا المنهج مع جميع الأطفال المتواجدين في القاعة قد يؤدي الى عدم وجود تجانس في القسم الواحد بالمدرسة, إضافة إلى أن هناك عائق عدم جاهزية قاعات كل المدارس لتطبيق نظام "الإدارة الذاتية". و من جهة اخرى فان اي ظهور اي سلوك غير مهذبة من قبل الأطفال سيزيد من الأمر سوءا و سوف يحدث الفوضى. (Brossard,2017,p3). و عليه فانه في ظل عدم توفر كل المدارس على الإمكانيات المادية اللازمة لتطبيق منهج سيليستن فرينيه سوف يجعل من عملية الاستفادة من هذه البيداغوجيا امرأ صعب التحقيق و اي سلوك فوضوي من طرف الأطفال سوف يؤثر سلبا على النتائج المنتظرة من العملية التعليمية.

13.الخلاصة

بالرغم من الإمكانيات المتواضعة التي كانت في عصر كل من ماريا منتسوري و سيليستن فرينيه إلا أنهما استطاعا أن يحدثا ثورة في التربية و التعليم من خلال جعل المدرسة مكان للحياة و العمل , مكان يحبه الطفل و يتشوق أن يذهب إليه و يقوم بنشاطاته و هو الأمر الذي ينقص منظومتنا التربوية و التعليمية التي جعلت من المدرسة مكان يفرض على التلميذ دخوله و الخضوع لمدرس يمارس عمله بميكانيكية تفتقر للإبداع و التنويع

لقد اتفق كل من ماريا منتسوري و سيليستن فرينيه على اعتبار الطفل كائن حر له أرائه و اهتماماته و رغباته التي يجب احترامها و أكد الباحثين على ضرورة إعطاء الطفل أهمية بالغة و عدم إهمال أي صغيرة أو كبيرة من ما يبديه من تصرفات في المدرسة من خلال استعمال الملاحظة التي تساعد المدرس أو المربي على فهم أفضل للطفل و مشاكله و كذا حقه في ممارسة حريته بالمدرسة و استقلاليته و تعزيز ثقته بنفسه و زرع روح المبادرة فيه و روح التعاون و مشاركة الغير, كما اتفق العالمين على ضرورة التعامل مع كل طفل بخصوصية مراعاة للفروق الفردية التي تميز كل شخص عن الأخر و التكيف معها و إيجاد الحلول اللازمة لمشاكل و صعوبات كل طفل بالقسم. و قد عارضا الباحثين فكرة الامتحانات و ركزا على أهمية العلاقة التي تجمع المدرس أو المربي بالطفل و التي يجب أن تكون علاقة جيدة يميزها الاحترام و التقدير المتبادل و كذا توسيع صورة المدرسة التي اعتبرها العالمان ابعد من أن تكون مجرد مكان للتعلم. كما تميز كل من منتسوري و فرينيه بحس الإبداع في الأدوات و الأساليب و حتى النشاطات المبرمجة في المدرسة , الأمر الذي يسمح بدوره بتنمية الإبداع و تشجيع المواهب التي تظهر على الأطفال أيضا

و مع كل التطورات التكنولوجية التي نعيشها في وقتنا الراهن فان امكانية تطبيق بعض من أساليب فرينيه و منتسوري ليس بالآمر المعقد أو المستحيل , و لا يعني هذا تطبيقها بصفة عمياء و إنما تكييفها بشكل يتناسب مع أهداف المدرسة الجزائرية و متطلبات الأطفال . فتخصيص نشاط خاص بالمطبعة مثلا من الأفكار الرائدة التي سوف تساهم في تحفيز الطفل أكثر و غرس روح المسؤولية فيه و تعزيز ثقته بنفسه . كما سوف يسمح لنا باكتشاف المواهب الإبداعية المختلفة و جعل المدارس تتواصل بين بعضها البعض من خلال المراسلات المدرسية بدل سياسة الانغلاق التي تعتمدها كل مدرسة في عصرنا الحالي. كما أن اعتماد مجلة للمدرسة يكون فيها التلميذ هو المؤلف يعتبر كأسلوب مميز لتعليمه قواعد لغته الأم أو قواعد لغة أجنبية بشكل مسلي بعيدا عن الوضعية الكلاسيكية للتعلم التي تحد من حرية الطفل و التي قد تجعله يشعر بالملل أو انه دائما في وضعية "امتحان" . و عليه قد يساهم هذا و غيره من النشاطات و الأفكار التي قدمها فرينيه في تغيير نظرة الطفل للتعليم و المدرسة و حتى نظرته للمعلم , فلا يكون هدف التعليم مجرد نتائج مدرسية تحدد الرسوب أو النجاح و إنما حياة و متعة و مسؤولية تساعد في بناء طالب جامعي ومواطن يعرف قيمة العلم و العمل

من المهم جدا الاهتمام بتكوين المدرس حول كل ما يتعلق بنفسية الطفل و كيفية التعامل معه و كذا توسيع النظرة و الأفكار المتعلقة بمهنة "التدريس" و تمثلاته بخصوص دوره في المدرسة التي تأثر بشكل أو بآخر على ممارساته و تصرفاته مع الأطفال ,وهذا ما نادت به منتسوري التي كانت تشرف على تدريب المربيات بنفسها. إذن فمن الضروري جدا تكوين مدرس يأخذ بعين الاعتبار الفروق الفردية و يستعمل الملاحظة الدقيقة لنمو و تطور الطفل خلال نشاطاته و كذا الصعوبات التي يمر بها و الوعي بأسلوبه في التدريس بكل ما يحتويه من نقاط ايجابية و سلبية من خلال المراقبة الذاتية و الانتباه و تحليل ممارساته و أفكاره حتى يكون هناك تغيير بناء و قد تكلم العديد من الباحثين على إتباع بعض المدرسين لطريقة تصوير الحصص من اجل تحقيق ذلك. كما انه من المهم انفتاح المنظومة التعليمية على طرق جديدة في أساليب التربية و التعليم, و تقييم نتائجها من خلال دراسات علمية في مجتمعاتنا العربية و التي تكاد تكون قليلة جدا مقارنة بالدراسات الغربية. و في

النهاية نقول انه في غمار الساحة الفكرية بكل ما تحتويه من نظريات و فلسفات تتعلق بالتربية و التعليم , فان الهدف هنا ليس الدعوة لتبني فكر محدد دون غيره من الرؤى الأخرى, و إنما الهدف الأساسي هو نشر الوعي التربوي من خلال الاستفادة من الإرث العلمي الذي تركه أعلام رائدة في هذا المجال أمثال ماريا منتسوري و سيليستن فرينيه و غيرهما لإعادة النظر في عدة عناصر متعلقة بالبيداغوجيا بالمدارس الجزائرية.

المراجع :

المراجع العربية:

التلواني، رشيد. (2015). ماذا تعرف عن منهج ماريا منتسوري. متوفر بموقع https://www.new-educ.com تاريخ الاسترجاع: **03/ 08/ 2019**.

الشلبي، إبراهيم محمد. (2006). تطبيق بعض أساليب فرينيه في مؤسساتنا التربية التعليمية. مجلة ابن الهيثم للعلوم الصرفة التطبيقية، المجلد 19(3).

بركة مصطفى، (2000-2001). إصلاح النظام التربوي. رسالة دكتوراه دولة، كلية علوم التربية، جامعة الرباط، المغرب.

مصطفي، تغريد و الهاشمي، عبد الرحمان. (2017). اثر إستراتيجية تعليمية قائمة على نظرية منتسوري في مستوى الوعي الصوتي لدى طلبة الصف الأول و السادس في ضوء . مجلة جامعة النجاح للأبحاث الإنسانية، المجلد31(12)، ص 2302- 2315.

وطفة، علي اسعد و الرميضي، خالد. (2004). التربية قبل المدرسة: تصورات علمية و عقائد نقدية. ط4. الكويت.

يحياوي، نجاة و طويل، فتيحة. دت. التربية و البيداغوجيا: دراسة نقدية لرؤية دوركايم. الجزائر: مخبر المسالة التربوي في الجزائر في ظل التحيات الراهنة.

يعيش مليكة. دت. استراتيجيات التدريس في النظام التربوي الجزائري, جامعة البويرة , الجزائر.

حسن، شهرزاد. (2018). القيم التربوية لأساليب الثواب و العقاب في منهج وفلسفة ماريا منتسوري التربوية. Polytechnic Journal، 8(1).

المراجع الأجنبية

Atlet, M. (1993). Styles d'enseignement et style pédagogiques. La Pédagogie Une Encyclopédie pour Aujourd'hui, Esf éditeur, 9 éditions, Issy-les-Moulineaux, France.

Bougére, G. (2002). Jeu et Loisir comme espace d'apprentissages informels. Education et Société, n°10(2), 5-20.

Brossard, A. (2017). Les avantages et les inconvénients, de la mise en pratique de la pédagogie Freinet et de la pédagogie traditionnelle d'un point de vue de la réussite scolaire. Education et Enseignement modernes.

Ferriére, A. (1927). La discipline et la liberté. Revue Pour L'ère Nouvelle, Paris, France, 29 (6).

Foucambert, J. (1976). Apprentissage et Enseignement. Communication & Langage, 32, 7-17.

Freinet, C. (1960). L'Education du travail. Delachaux et Niestlé.

Freinet, C. SD. Œuvres pédagogiques - Tome 2 - Méthode naturelle de lecture - Seuil - p.220 / 221

Jacomino, B. (2013). Freinet et la Coopération. Cahiers Pédagogiques. N°450, Paris.

Le Gal, J. (2003). Liberté et Autorité : Pédagogie Freinet et discipline. Bulletin des Amis de Freinet, Paris, France, 78 (1), 19-39.

Lorge, L. (2015-2016). L'autonomie pour le développement de l'enfant. Ecole Normale catholique du Brabant Wallon, France.

Lauriers, B. (2017). La pédagogie Montessori est-elle applicable aux écoles « traditionnelles » ? Union Francophone des Associations de parents de l'enseignement catholique.

Luong, J. (2016). Réinventer l'éducation, in Le Soir.

Madelaine, M. (2014). La pédagogie Montessori à l'école de la République. Ecole Supérieur du Professotay et de l'Education, Master 2, Angers, France.

Meignan, C., Chabrun, C. (2014). Engagement de l'espace en pédagogie Freinet.

Pannicacci, J. (1999). Célestin Freinet ou la révolution par l'école, Mémoire de maitrise, Université de Sophia Antipolis, Nice, France, p18.

Pellaton, F. (2013). L'aménagement de la salle de classe : Est-ce le reflet d'un enseignement ? Mémoire de bachelor, Haute Ecole Pédagogique, La Chaux-de-Fonds, France.

Poulet, D. (2004). Quelle est l'importance du travail de groupe dans le développement de l'autonomie de l'élève ? Mémoire Professionnel premier degré, Dijon, France.

Poussin, C. (2016). Montessori de la naissance à 3 ans : Apprend moi à être moi-même. Paris, Groupe Eyrolles.

Rappelin, A., Bouvart, A-C., SD. Leplan de travail : Un outil responsabiliser les élèves et différencier les Apprentissages. Master 2 Métier de l'Enseignement de l'Education et de la Formation, Université Aix-Marseille, France.